الوجه الآخر

لقد انتهت مباريات كأس العالم في قطر، ولكننا ما زلنا نعيش يوميًا تحت تأثير هذا الحدث الرّياضي الكبير والمشرّف للعالم العربي عامةً ولدولة قطر خاصة.

سبق وكتبت منذ عدّة أيام مدوّنة حول هذا الموضوع. فقد ذكرت في المدوّنة التي حازت على نسبة قراءة وتفاعل كبيرين، مدى شكري وامتناني لدولة قطر ولمنتخب المغرب العربي.

على أثرها توجّهت إليّ صديقة قديمة، مديرة مدرسة، وذكرت لي مدى معاناتها لقيام فئة من أهالي الطّلاب بالاحتجاج على أن المديرة وطاقمها التعليمي قد خصّصوا وقتًا طويلًا، حسب رأيهم، واهتمامًا كبيرًا مبالغًا فيه، لقضيّة كأس العالم والمباريات المعروضة.

طبعًا الأهل يدّعون أنّ هذا الأمر عبارة عن مضيعة للوقت وتبذير للسّاعات الدّراسيّة، حيث علينا أن نركّز بالأمور الدّراسيّة والتعليميّة وترك هذه "السخافات" لأوقات الفراغ.

لطالما قُلت أنّ مدارسنا كلّها هي مدارس مملّة، لا تهتم ببناء الشّخصيّة وتعزيزها. ولا تسعى إلى ترسيخ القيم الحقيقيّة التي من واجبنا بثّها في نفوس الأبناء، مع انعدام دور الأهل والمجتمع في ذلك، وإذا كان هناك من يسعى إلى ذلك فإنه يفعل

الأمر كجسد بلا روح، فلا يذوّت أبناؤنا إلّا الشّعارات الرّنّانة التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

تعالوا نسلّط الضّوء على بعض القيم والسّلوكيات التي استخلصناها من هذا الحدث التّاريخي، قيمٌ وسلوكيات تحتاج إلى مئات الحصص لتذويتها، إذا نجحنا أصلًا بذلك! لقد تحدّثنا عن بناء الشّخصيّة، شخصيّة الطّالب وشخصيّة الطّالبة.

انظروا ماذا منحنا كأس العالم، ماذا منح أبناءنا وبناتنا، ونحن الشعوب والاجيال التي عاشت نكبات ونكسات طوال حياتنا، ولم نسمع بالانتصارات الا بالقصص وكتب التاريخ، جيل شاهد قوة الرّابط بين الشعوب العربية والتعطش للفرح والنصر ولو بكرة القدم، عدّوا معي:

- الكرامة، العزّة، الكبرياء، الفخر، المروءة، الكرم، حسن الاستقبال والضّيافة، النّظام (الذي طالما نادينا به)، التّنظيم، النّظافة، الأمان، الأخلاق الحميدة، احترام الغير، احترام الأم وتقديرها.

تخيّلوا كم نحتاج من الوقت لبثّ هذه الأمور في نفوس أبناءنا وبناتنا. لطالما ادّعيت أنّ المدارس لا تربّي وأنّ البيت هو الذي يربّي، لكن كم واحد من الأهل الذين يشاهدون هذه المباريات يخصّص وقتًا لتعزيز هذه الأمور في نفوس أولاده؟ الجواب لا أحد، لكن المدارس فعلت ذلك بواسطة التّشجيع والحماسة والرّايات الخفّاقة وما إلى ذلك.

تعالوا ننظر إلينا وإلى ابنائنا في الماضي والحاضر. هل تعلمون ما هو أسوأ شيء كان من الممكن أن يحدث معنا عندما كنّا طلّابًا في المدرسة؟ أسوأ شيء هو أن تأتي أمك إلى المدرسة وتدخل إلى غرفة صفّك وأنت جالس مع الطّلاب. كنّا نتمنى أن تنشق الأرض وتبلعنا من الإحراج ونظرات السّخرية والاستهزاء. يا حبيبي لو سألك المعلم "ما اسم أمك؟" أمام الطّلاب. عودوا إلى دفاتر وسجلّات الطّلاب الموجودة في دفتر اليوميات التي يتحتّم علينا وضع التّفاصيل الشّخصيّة فيها ومنها اسم الأب واسم الأم، ستجدون أنّ معظم الطّلاب قد قاموا بشطب أسماء الأمّهات.

ما علاقة ذلك بكأس العالم؟ انظروا إلى لاعبي المغرب عندها ستعرفون الجواب. اليوم شاهدت تقريرًا حول استقبال الملك للاعبي المغرب. لم يأتوا برفقة آبائهم بل أتى كلّ لاعب ممسكًا بيد أمه وهو يختال فرحًا وفخرًا بهذه الأم المكافحة التي أفنت حياتها من أجل أبنائها. أليس هذا أعظم درس لأبنائنا؟! "أمك أمك أمك ثم أبوك". أليست "الأم مدرسة إذا أعددتها" أم تريدون مدارس يعمّها الجهل والخزي والعار؟!

لطالما كرهت النّساء والزّوجات الرّياضة بصورة عامة وكرة القدم بصورة خاصة. عودوا إلى نسائكم اليوم واسألوهنّ حول هذا الأمر بعد انتهاء مباريات كأس العالم. لقد تغيّرت الصّورة نهائيًا. لقد رأيت النّساء والأمهات بأمّ عيني وهنّ يشجعنّ فريق المغرب في جميع أرجاء العالم العربي. تخيّلوا فخرهمّ واعتزازهنّ بالفوز وتخيّلوا دموعهنّ عندما تم اقصاء منتخب المغرب.

رحلة واحدة للطّالب أو الطّالبة تغني عن 100 حصّة من حصصنا المملّة. قد أكون مبالغًا لكن تعالوا نختم مدوّنتنا بطرفة تؤكّد ذلك.

"حصل ابن رجل كبير السّن على شهادة دكتوراة في علم الفلسفة. جلس الرّجل ذات يوم مع ابنه الدّكتور على مائدة الغداء. فسأل الرّجل ابنه أنت دكتور في ماذا؟ هل تعالج النّاس؟ فقال الأبن: لا يا أبي، أنا دكتور في علم الفلسفة. فقال الأب: وماذا تعني الفلسفة؟ فقال الأبن: أمامنا الآن قصعة فيها أرز وفوقها الأرز دجاجة واحدة، أليس كذلك؟ فأجابه الأب: هذا صحيح. فقال الأبن: أستطيع بعلم الفلسفة اقناعك بأنه توجد دجاجتان على الأرز، وليست دجاجة واحدة. فقال الأب كبير السّن بفطرته: ما شاء الله، أنا اقتنعت الآن. ومدّ الأب يده وأخذا الدّجاجة الموجودة ووضعها أمامه، ثم قال لابنه الفيلسوف: أنا سآكل هذه الدّجاجة، وأنت كُلْ الدّجاجة الثّانية إن وجدتها".

تذكّروا أنّ كرة القدم ليست هدفًا إنّما وسيلة، معنى ذلك أننا لا نريد من أبنائنا وبناتنا أن تتحوّل كرة القدم لأكثر من لعبة. ولا نريد منهم أن يعرفوا "ميسي" و "رونالدو" أكثر من معرفتهم لعمر بن الخطّاب وخالد بن الوليد. إنّما نريدها وسيلة مساعدة لتوعيتهم على قضايانا الاجتماعيّة والسياسيّة وهموم شعبنا المستعصيّة. كرة القدم مجرد لعبة يستمتع بها الناس نهاية الأسبوع... لا شيء يمكن أن تضيفه غير هذا.. لن تحل مشاكل الفقراء واللاجئين.. لن توقف حروبًا ولن تأتي بالديموقراطية.. ينسى الناس فيها همومهم وتعاستهم لتسعين دقيقة..

تدفعهم ليصرخوا ويهتفوا حتى يهدأوا وينفسوا عن جوفهم المضطرب...، من حقّنا الفرح والتنفيس لكن باعتدال. سنفرح أكثر إن فزنا على الفقر والجهل وعلى الظلم وعلى الاحتكار والتهميش وإن استطعنا توفير صحة وتعليم جيد. ووفرنا لقمة العيش الكريم للفقراء والمهمشين وتعليم مدرسي مجاني لأطفالنا لمساعدتهم على عدم الانقطاع عن الدراسة. إن فزنا في هذا الأمر سيكون فوزنا فوزاً حقيقيًا مُثمرًا سيسعدنا إلى الأبد.

أرجو لكم كل الخير

أ.أيمن جبارة